الفصل الثاني
نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله:{إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾} [القصص: 85]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسي، قال: قبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب علي وصي رسول ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيهم [1].

وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال، وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عهد ابن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل، إلى أن بلغت علياً رضي الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح في ذلك عن علي رضي الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهنى قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن لجبة أتي به ملببه يعني - ابن السوداء -

(1) تاريخ الطبري (347/5).

وعليّ علي المنبر، فقال عليّ: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله [1]، وعن يزيد بن وهب عن علي قال: ما لي ولهذا الحميت [2]الأسود [3]. ومن طريق يزيد بن وهب أيضاً عن سلمة عن شعبة قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود - يعنى عبد الله بن سبأ - وكان يقع في أبي بكر وعمر [4]، وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة [5]، وحكي المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات أن ابن سبأ ادعي الربوبية في علي - رضي الله عنه - فأحرقه علي هو وأصحابه بالنار [6]، يقول الجرجاني: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: علي رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار [7]. ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت. قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري، استتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزاً:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ::: أججت ناري ودعوت قنبرا [8]

وذهب بعض المؤرخين إلى أن علياً رضي الله عنه لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن. ثم ادعي بعد موت علي رضي الله عنه أن علياً لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته [9]، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري، عن عكرمة قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: **«لا تعذبوا بعذاب الله»** ولقتلتهم لقول رسول

---

(1) تاريخ دمشق، الانتصار للصحب والآل، ص35.

(2) الحميت: هو وعاء سمن الذي متن بالرُّب، ويطلق علي المتين من كل شيء، وفي حديث وحشي: كأنه حميت، قال ابن حجر: " أي زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءاً. فتح الباري (368/7).

(3) فتح الباري (368/7).

(4) فتح الباري (368/7).

(5) عبد الله بن سبأ ص98، الأسانيد حكم عليها الألباني.

(6) الانتصار للصحب والآل، ص36.

(7) التعريفات، ص103.

(8) التنبيه علي أهل الأهواء والبدع، ص8.

(9) الفصل لابن حزم (36/5)، التبصير في الدين للإسفراييني.

الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» [1].

قال ابن حجر – رحمه الله – في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: أنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في " الملل والنحل " أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله؛ ما رويناه من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامرى قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم وقال: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا [2]، ثم ساق بقية الرواية وفيها أن علياً رضي الله عنه استتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ::: أججت ناري ودعوت قنبرا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن [3]، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في علي رضي الله عنه في تلك الفترة الزمنية، وإمعان علي رضي الله عنه في عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار علي رضي الله عنه لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتظمت في سلك التشيع له كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضلال.

قال ابن تيمية – رحمه الله: ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ردها وكانت ثلاث طوائف: غالية، وسبابة، ومفضلة.

فأما الغالية: فإنه حرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله. فاستتابهم ثلاثة فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخاديد وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها.

---

(1) البخاري، كتاب استتابة المرتدين رقم (6922)
(2) فتح الباري (270/12).
(3) فتح الباري (270/12).

وأمـــا الســـبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه، وكان علي يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكناً ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به.

وأما المفضـــلة: فقال: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين: فقال وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[1].

وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي رضي الله عنه قد بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضي عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحال، وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادي بها في رسالته " ابن سبأ حقيقة لا خيال "، وذكرها في كتابه " الرواة الذين تأثروا بابن سبأ ". وأهم البدع التي نادي بها ابن سبأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بإلهية علي رضي الله عنه وربوبيته، وكان أول من ادعي النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ﷺ، وأول من ادعي أن علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السبئية: إنهم لا يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم - السبئية - بانتقال روح القدس في الأئمة، وقالوا: بتناسخ الأرواح، وقالت السبئية: هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وقالوا: إن عليا في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه. هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة [2].

إن فرق الشيعة الرافضة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها

---

(1) مجموع الفتاوى (184/35، 185).
(2) الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د/ سعدي الهاشمي ص19، 20.

ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد - كما مر - وهذه عقيدة النص على على بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي - كما يراه شيوخ الشيعة الروافض - ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية علي عليه السلام [1]، وشهدت كتب الشيعة الروافض - كما سيأتي تفصيله بإذن الله - بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضي الله عنهم والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة، كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي [2]، والرجعة من أصول الشيعة الروافض - كما سيأتي بإذن الله -، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية [3]في رسالة الإرجاء [4]، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن علياً رضي الله عنه سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن، أو مما ليس عند الناس؟ فنفي ذلك نفياً قاطعاً [5].

هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة [6]، وقد وجدت إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي رضي الله عنه ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه، كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جوا صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي

---

(1) أصول الكافي (437/1)، أصول الشيعة الإمامية (71/1).
(2) المقالات والفرق للقمي، ص21، فرق الشيعة للنوبختي، ص23، أصول الشيعة الإمامية (96/1).
(3) تهذيب التهذيب (32/2).
(4) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان، لمحمد العدني، ص250 - 294.
(5) البخاري، كتاب العلم مع الفتح (204/1).
(6) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (97/1).

أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسن.

كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعنى بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم [1].

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جري عليهم من المحن والآلام، بدءاً من مقتل علي ثم الحسين... إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعني عقيدة النص على علىّ رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة... إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ودخيلة على المسلمين - ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم. ولهذا ذهب ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس، والروم، واليونان، والنصاري، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع [2].

* * *

(1) أصول الشيعة الإمامية (98/1).
(2) منهاج السنة (147/4)، أصول الشيعة الإمامية (109/1).